

والخطوط(٢٢)، وتبدو هذه الرسوم وكأنها اختبار لقدرات الطفل على تحريك ساعده ومن ثم رسمه ، وأخيرا يده وأصابعه . وقد وجد ، في العينة الصغيرة مع الأطفال في سن الثالثة ، أن بعضا منها يخلف رسوما تحمل سمات مراحل أولية من التخطيط ، في حين أن بعضها الآخر يحمل سمات مرحلة متقدمة ، أي التخطيط المقيد ، أو شبه الرمزي أو المتحكم به من قبل الطفل(٢٣) بمعنى أن رسوم المجموعة الأخيرة تتضمن فعلا تصديا أكثر من مجرد اختبار قدرته العضلية على تحريك اللون فوق الورق .

وفي سن الخامسة ( وسن الرابعة أحيانا ) وهو سن الروضة في الخيم ، لوحظ اتجاه أوسع لعمل تخطيطات رمزية ، ومحاولات لرسم اجسام واقعية ، إذ لوحظ أن الأطفال ينحون الى رسم الأشياء التي يتعرفون عليها أو يدركونها ويكررون رسمها المرة تلو المرة . وفي هذا السن تدخل الحروف الهجائية والارقام التي يتعلمونها لأول مرة ، فبعاد رسم هذه الحروف والارقام بصورة آلية ، بألوان واحجام مختلفة ، فتمتزج كتابة ( أو رسم ) هذه الحروف ، التي لا يدركون دلالتها بمد ، بالأشكال الأخرى ، وتختلط تخطيطاتهم بهذه الحروف والارقام المتكررة(٢٤) . وتظهر رسوم هذه المرحلة أن مدركات الطفل أو محصلته الحياتية والثقافية ما تزال بسيطة ، فطرية ، لا تكاد تتعدى المحسوسات أو المرئيات التي يتعلمون رسمها بالتكرار ، وليس ثمة اشكال مركبة أو تفصيلية ، وانما اشكال عامة مجردة . ويلاحظ أن التحكم العضلي يصل الى ذروته بالاعتماد على الأصابع في الرسم وهنا يتمكن الطفل من وضع خطوط منفصلة ، متقلعة ، ذات طابع رمزي . وفي سن الرابعة ينتقل الطفل الى بدايات التمثيل الرمزي للأشياء والأشكال ويظهر أطفال البقعة اهتماما خاصا نحو رسم الجسم البشري . وعموما فانه يلاحظ ، من رسوم الأطفال ، في هذه المرحلة ، خضوعهم لكل مظاهر الطفولة المبكرة المعروفة في عالمنا ، فلا تتميز رسوم أطفال البقعة عن رسوم أطفال آخرين في أي مكان من هذا العالم(٢٥) ، كما أن البيئة لا تظهر أو تنعكس بشكل واضح في رسومهم بعد . إذ أن اهتمامهم لا تتعدى الرغبة في اكتشاف مادة اللون والاشارة التي تحدثها حركة اللون على الورق . وان كنا نلاحظ بدايات تمثيل للواقع المرئي في تخطيطات ، هي مزيج

مقارنة مع التسميات المعروفة في رسوم الأطفال نبعنا لنوهم الزمني كتقسيم سولسي وتاملنسون ونشرك ولونفيلد وهربرت ريد الخ ، فقد وجدت على الرغم من الاختلافات العامة والفروق الضئيلة بالنسب ، وفي التسميات التي يقترحها كل باحث لمراحل النمو المختلفة عند الأطفال وغيرها من الفروق ، أن هناك أساسا جوهريا يوحد ما بين هذه التسميات المختلفة ، وهذا الأساس الجوهري لا يختلف مع ملاحظاتي حول مراحل نمو التعبير عند الملل النازحين كثيرا أو قليلا .

وإذ فضلت أن لا أقحم نفسي ، عبر التقسيم الذي رسمته حول رسوم أطفال مخيم البقعة ، ضمن جملة الباحثين الذين يسهمون في الجدال الدائر حول كل مرحلة بعينها ، وحول تسمية كل مرحلة أو تسمية الظواهر المصاحبة لكل مرحلة نمو ، أو حول المراحل الثانوية ضمن المرحلة الواحدة الإنسانية ، ولذلك عمدت الى تقسيم الفترة التي نمتنا من عمر الطفل وهي ٣ - ١٤ سنة ، الى أربع مراحل أساسية ، دون اللجوء الى تسميات ثانوية أخرى . كما استخدمت بضعة تسميات شائعة أكاديميا حول كل مرحلة أو حول الظواهر اللازمة لكل مرحلة دون أن استخدم غيرها ، ليس استسهالا للبحث ورغبة في التبسيط ، وانما لان التجربة مع أطفال البقعة لبضعة اشهر لا تؤهل الإسهام بوضع تحديدات أكثر تفصيلا ، تاركا ذلك لطاير أخرى قد تنال حظا أوفر لدراسة متأنية .

أ - سن الثالثة الى الخامسة ، وهذه مرحلة التخطيط(٢٦) : من الملاحظات البارزة حول رسوم أطفال ما قبل سن الروضة ، وخاصة في سن الثالثة ، هو انها ما زالت غارقة في سمات مرحلة التخطيط الأولي ، حيث لا تعدو هذه الرسوم أن تكون محاولة لاكتشاف القدرة العضلية على التخطيط ، كما يثار فضول الأطفال بسبب احتكاك مادة اللون بالورقة من جراء تحريك الذراع ، لاكتشاف ماهية اللون والخطوط الناتجة من حركتهم العضلية على الورق . وفي سن الثالثة ، عند أطفال الخيم ، تكون الرسوم ما زالت بدائية ، فهي وأن انحلت شكل التخطيطات غير المقصودة ( وهي مجرد حركات عضلية من اليمين الى اليسار ) أو « غير المتحكم بها كما يرى لونغلد »(٢٧) إلا انها ما زالت ذات طابع عضلي ، أي ذات حركة موجية أو سنولية(٢٨) ، ثم ذات طابع متشابك بين الدوائر